الفصل والوصل من منظور تداولي

د/ رحيمة شيتر
قسم اللغة والأدب العربي
جامعة بسكرة

ملخص:

الفصل والوصل فعل لا تقوم اللغة إلا به ولا يتحقق التخاطب إلا في ضوئه، وهو عنصر تواصلي ،يتحقق بفضل روابط ظاهرة أو بواسطة جامع خيالي يرتكز أساسا على المتكلم والمستمع والمقاصد والسياقات الخارجية وما يمكن أن نسميه الفضاء الذهني الواسع الذي يقوم على الفطنة والتيقظ، وهي عناصر لها حضورها التداولي المتميز، انطلاقا من هذه المعطيات يسعى المقال للبحث في الفصل والوصل من منظور تداولي ،ويتخذ نصا تراثيا ورد في كتاب الصناعتين فضاء إجرائيا.

الكلمات المفتاحية :الفصل ،الوصل، التداولية ،الفعل الكلامي ،السياق ،المقاصد

Abstract:

The study treat the connection and disconnection from two different point of view. the first one deals with Arabic eloquence where we found that this phenomena appears in the relation between words and also between sentences , and it needs many condition.

The second one deals with pragmatics which are a new filed of linguistics study. Pragmatics treat the connection and disconnection as speech act has a deep relation with using and context .

The study analyze a traditional Arabic text from the book of sinnataine

مقدمة:

يقع قانون الفصل والوصل ضمن فضاء برزخي ،يتيح له فرصة احتلال مواقع إستراتجية في مجموعة من العلوم التي تضمن سيرورة فعل التخاطب كالنحو والبلاغة.

ولعل الأمر يتجاوز هذا ليصبح الفصل والوصل قانونا عاما للتخاطب فاللغة لا يتحدد معناها في السياق إلا في ضوء خضوعها لهذا القانون ،"فهو الذي يحكم بناء الجملة العربية في كل أحوالها، كما يحكم العلاقة مع الجمل بعضها مع بعض داخل النص"[1] ،فالجمل على ثلاثة أضرب:

جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكد، فلا يكون فيها العطف البتة

وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله ،إلا أنه يشاركه في حكم ،ويدخل معه في معنى (...) فيكون حقها العطف

وجملة ليست في شيء من الحالين، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء فلا يكون إياه ولا يكون مشاركا له في معنى (...) وحق هذا ترك العطف".[2]

الأبعاد التداولية للوصل:

يتم الوصل غالبا بأدوات مخصصة لذلك، وهي أدوات تكشف جزءا من المقاصد التي يروم المتحدث إبرازها، فالفاء مثلا " توجب الترتيب من غير تراخ، وثم توجبه مع التراخي، و أو تردد الفعل بين شيئين وتجعله لأحدهما لا بعينه، فإذا عطفت بواحدة منهما الجملة على الجملة ظهرت الفائدة، فإذا قلت أعطاني فشكرته ظهر بالفاء أن الشكر كان معقبا على العطاء ومسببا عنه وإذا قلت خرجت ثم خرج زيد أفادت ثم أن خروجه كان بعد خروجك ،وأن مهلة وقعت بينهما وإذا قلت يعطيك أو يكسوك دلت أو على أنه يفعل واحدا منهما"[3]

إن حروف العطف تتجاوز الربط بين جملتين إذ تنتقل إلى كشف المقاصد ،أو توضيح عناصر سياقية زمنية، كما أنها ترتبط بالسامع وتوليه أهمية خاصة لاسيما في الربط بحرف الواو، يقول الجرجاني "إنا وإن كنا إذا قلنا :زيد قائم وعمرو قاعد، فإنا لا نرى ههنا حكما نزعم أن الواو جاءت للجمع بين الجملتين فيه، فإنا نرى أمرا آخر نحصل معه على معنى الجمع وذلك أنا لا نقول زيد قائم وعمرو قاعد حتى يكون عمرو بسبب من زيد، وحتى يكونا كالنظيرين والشريكين، بحيث إذا عرف السامع حال الأول عناه أن يعرف حال الثاني "[4]

إن الوصل يكشف جزءا من المقاصد ويرتبط بحاجات المستمع التواصلية كما لا يغفل جانبا مهما من التواصل وهو السياق الداخلي للكلام إذ ينبغي حدوث توافق في مستوى إنشاء الكلام،

"فلو قلت زيد طويل القامة وعمرو شاعر، كان خلفا، لأنه لا مشاكلة ولا تعلق بين طول القامة وبين الشعر(...) وجملة الأمر أنها لا تجيء حتى يكون المعنى في هذه الجملة لفقا لمعنى في الأخرى ومضاما له، مثل أن زيدا أو عمرا إذا كانا أخوين أو نظيرين أو مشتبكي الأحوال على الجملة،كانت الحال التي يكون عليها أحدهما، من قيام أو قعود أو ما شاكل ذلك، مضمومة في النفس إلى الحال التي عليها الآخر من غير شك"[5].

إذن الربط يتم على مستوى نسقي متعلق بمستوى سياقي، إذ يجب حدوث مناسبة بين العناصر المتصلة، مع ضرورة مراعاة عناصر تداولية تتعلق أساسا بالمقاصد وحال السامع .

إن أدوات الوصل على درجة كبيرة من الأهمية، ولكن ما عرضه الجرجاني يتعلق بالربط على مستوى الجمل فماذا عن النص ؟

"النص مثل العالم الذي ينقله أو يصوره يتكون من عناصر تربط بينها علاقات هذه العلاقات تؤدى بأدوات الربط"[6]،التي تختلف تبعا للسياق الذي استدعاها فقد يتم الربط بأدوات محددة كالواو ، الفاء، ثم ،حتى،...وقد يستعير عناصر أخرى كالضمائر والإشاريات وهي عناصر ترتبط بالتخاطب وهذا ما يعطيها بعدها التداولي ويجعل استعمالها خاضعا للسياق.

هذا وقد يكون الربط في بعض السياقات بنية نصية، كما هو الشأن مثلا في القصيدة العربية القديمة حيث يتم الانتقال من الطلل إلى المدح عبر بنية نصية واصلة هي الرحلة.

إذن الوصل علاقة موجودة في اللغة بالقوة عن طريق قرينة معنوية أو موجودة بالفعل عن طريق قرينة لفظية ،وهو في حاجة لقانون يعضده هو قانون الفصل، الذي له مواضع يقبح فيها، "فكلما ازداد الجزءان اتصالا قوي قبح الفصل بينهما"[7]ويكون ترك العطف كذلك "إما للاتصال إلى غاية أو الانفصال إلى غاية"[8] " واعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه إنه خفي وغامض، ودقيق وصعب إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب وقد قنع الناس فيه بأن يقولوا إذا رأوا جملة قد ترك فيها العطف إن الكلام قد استؤنف وقطع عما قبله، ولا تطلب أنفسهم منه زيادة على ذلك"[9]

الأبعاد التداولية للفصل:

الفصل "نوعان: أحدهما أن يكون للكلام السابق حكم وأنت لا تريد أن تشركه الثاني في ذلك فيقطع، ثم إن هذا القطع يأتي إما على وجه الاحتياط، وذلك إذا كان يوجد قبل الكلام السابق كلام غير مشتمل على مانع العطف عليه، لكن المقام مقام احتياط فيقطع لذلك، وإما على وجه الوجوب، وذلك إذا كان لا يوجد موقعه، أو لإغنائه أن يسأل، أو لئلا يسمع منه شيء، أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه أو للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ، وهو تقدير السؤال"[10]

ما يلاحظ على موجبات القطع أنها ترتبط بالمتكلم والكلام والسامع وما يحيط بالعملية التكلمية من ملابسات تتعلق بالسياق والمقاصد أثناء الدورة الكلامية التي تبنى على تمطيط الكلام وتبادله لننتقل من مستوى الجملة إلى مستوى الخطاب ؛إذ يتحدث السكاكي في النص الوارد سابقا عن تعلق الكلام بعضه ببعض ،هذا ما يجعله في الممارسة الإجرائية يركز على عناصر تواصلية تقيم الفعل التداولي كما سنرى في الأمثلة التالية:

"وتظن سلمى أنني أبغي بها ...بدلا ،أراها في الضلال تهيم

لم يعطف أراها كي لا يحسب السامع العطف على أبغي دون تظن "[11]،لقد راعى الشاعر المستمع متوخيا الحذر في بنائه النصي فقطع تلافيا لمقاصد قد يحملها الكلام في حال العطف .

قال الله تعالى "وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء آلا إنهم هم السفهاء "[12] (...) ترك العطف فيه للاستئناف أيضا؛ ليطابق مقتضى الحال ،ذلك أن ادعاءهم الصلاح لأنفسهم على ما ادعوه مع توغلهم في الإفساد مما يشوق السامع أن يعرف ما حكم الله عليهم "[13]

"زعم العواذل أنني في غمرة...صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي

لم يعطف صدقوا على زعم العواذل للاستئناف، وقد أصاب المحز وذلك أنه حين أبدى الشكاية عن جماعات العذل بقوله زعم العواذل أنني في غمرة فكان مما يحرك السامع عادة ليسأل هل صدقوا في ذلك أم كذبوا صار هذا السؤال مقتضى الحال"[14].

يتجلى مما سبق أن القطع والوصل يخضعان لأبعاد تداولية تجعل السامع، ومقتضيات الحال، والمقاصد في بؤرة العملية التواصلية ،ولما كان التواصل من منظور تداولي يفضي إلى إنجاز كلامي نتساءل هل يمكن أن نعد الفصل والوصل أفعالا كلامية ؟

الفصل والوصل بوصفهما فعلا كلاميا

يخضع قانون الفصل والوصل لمقتضيات الاستعمال" إذ لا يمكن أن يدرك كمظهر خطابي إلا إذا أتقن المستعمل أصولا ثلاثة يعتمدها العطف وهي :

1/الوضع الصالح للعطف

2/فائدة العطف

3/مقبولية العطف "[15]

كما يمثل هذا القانون حلقة مهمة من حلقات اللغة "التي تمثل مفتاح علاقة الإنسان بذاته وبالأشياء سواء أكان شاعرا أم غير شاعر ،وعلاقته بالأشياء هي علاقة فعل لا ينجز إلا بالكلام "[16]،ومن ثم فان الفصل والوصل مقترنين بمفهوم الانجاز ،ولكن ما حدود هذا الانجاز ؟هل يقتصر على التركيب فينحصر وجود الوصل والفصل في إطار الفعل القولي فقط ؟أو يمكن أن يتجاوز حدود التركيب ليجتاب أفاق الإنجاز والتأثير؟

يتكون الفعل الكلامي من ثلاثة أفعال مترابطة هي :

الفعل القولي: يتكون من صوت وتركيب ودلالة

الفعل الانجازي :"هو القيام بفعل ضمن قول شيء"[17]

الفعل التأثيري هو الأثر الذي يحدث على المخاطب نتيجة الفعل الانجازي

يبدو ظاهريا أن قانون الفصل والوصل يقع ضمن فضاء الفعل القولي، ولكن المعول عليه في اللسانيات التداولية هو مفهوم الفعل الإنجازي الذي" أصبح الوحدة الأساسية في التواصل " وقد ينجز بحرف كما قد ينجز بقصيدة، أو رواية ...ولنأخذ بعض حروف العطف في سياق تواصلي معين :يوجه الأستاذ سؤالا للطلبة وفق ما يلي :تسمى مكة بـ: أم القرى أو...

إن مقام التلفظ وما يلحق الكلام من نبر وتنغيم، يجعل حرف "أو" ينجز فعلا كلاميا يحمل قيمة استفهامية مفادها ما هي أسماء مكة الأخرى ؟

إن هذا الانجاز الفعلي يتم في ضوء سياق خاص ،وعليه فان الفعل الذي ينجزه الفصل والوصل قد يكون فعلا مباشرا تتطابق قيمته الحرفية مع القيمة الإنجازية، أو فعلا غير مباشر تتحدد قيمته من السياق، والأمر نفسه بالنسبة للروابط التي تكون ذات استعمال حرفي نتيجة "مسوغات نحوية، وقد تتجاوز هذا بواسطة مفاهيم تمكن من إدراك العلاقات القائمة بين الجمل ،أو بين أجزاء الخطاب

،تلك هي الجامع العقلي والجامع الوهمي، والجامع الخيالي."[18] لقد طرح السكاكي أنواع الجامع وصنفها محمد خطابي إلى جامع دلالي يندرج ضمنه الجامع العقلي والوهمي وجامع تداولي يندرج فيه الجامع الخيالي "[19]

يقدم السكاكي مثالا قرآنيا إجرائيا لتوضيح مفهوم الجامع الخيالي ،يقول "إذا لم يوفه حقه من التيقظ و أنه من أهل المدر، أنى يستحلي كلام رب العزة مع أهل الوبر، حيث يبصرهم الدلائل ناسقا ذلك النسق (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت و إلى الأرض كيف سطحت)[20] لبعد البعير عن خياله في مقام النظر،ثم لبعده في خياله عن السماء، وبعد خلقه عن رفعها، وكذا البواقي، لكن إذا وفاه حقه بتيقظه لما عليه تقلبهم في حاجاتهم جاء الاستحلاء، وذلك إذا نظر أن أهل الوبر إذا كان مطعمهم ومشربهم وملبسهم من المواشي، كانت عنايتهم مصروفة لا محالة إلى أكثرها نفعا، وهي الإبل، ثم إذا كان انتفاعهم بها لا يتحصل إلا بأن ترعى وتشرب، كان جل مرمى غرضهم نزول المطر، وأهم مسارح النظر عندهم السماء، ثم إذا كانوا مضطرين إلى مأوى يأويهم ،وإلى حصن يتحصنون فيه ولا مأوى ولا حصن إلا الجبال (...)فما ضنك بالتفات خاطرهم إليها ثم إذا تعذر طول مكثهم في منزل، ومن لأصحاب مواش بذاك، كان عقد الهمة ،بالتنقل من أرض إلى سواها، من عزم الأمور .فعند نظره هذا ألا يرى البدوي إذا أخذ يفتش ا في خزانة الصور له، إذ لا يجد صورة الإبل حاضرة هناك، أو لا يجد صورة السماء لها مقارنة، أو تعوزه صورة الجبال بعدهما(...)وإنما الحضري حيث لا تتآخذ عنده تلك الأمور، وما جمع خياله تلك الصور على ذلك الوجه، إذا تلا الآية قبل أن يقف على ما ذكرت، ظن النسق بجهله معيبا، للعيب فيه"[21]

يقوم الجامع الخيالي على اعتبار الربط فعلا كلاميا غير مباشر يتم بشروط سياقية خارجية كما هو الشأن مع متلقي الآية من أهل الوبر إذ يحصل الربط لديه بين مختلف عناصر الصورة السابقة لأنها" مترابطة في خياله نتيجة تكرارها في حياته اليومية ،ورغم هذا فإننا لا نوافق الخطابي فيما ذهب إليه في قراءته للجامع الخيالي وأنه "نتيجة تجربة الناس التي تتحكم في إدراكهم وفهمهم للعالم، واكتشاف العلاقات بين عناصره، أو عدم إدراكها. وهذا ما نجده في رفض البلاغي الحضري للخطاب القرآني السالف (...)مما يعني أن فهم الخطاب وتأويله أمر نسبي يختلف من شخص لآخر "[22]، ذلك أن الخطابي ركز على بعد واحد في الجامع الخيالي وهو التجربة التي يعيشها الإنسان أو

لنقل العوامل السياقية الخارجية التي تصنع فضاء ذهنيا مشتركا بين المتكلم والمستمع في الخطاب العادي ولكن الخطاب القرآني موجه للعالمين، معني به الحضري والبدوي، وإذا كان ذلك كذلك وبالعودة لنص السكاكي نجد أنه أشار إلى قضية مهمة تجعل الحضري يفهم الخطاب القرآني السابق رغم أنه بعيد عن مؤشراته السياقية، وهي التيقظ "فقل لي إذا لم يوفه حقه من التيقظ وأنه من أهل المدر أنى يستحلي الكلام (...)لكن إذا وافاه حقه بتيقظه لما عليه تقلبهم في حاجاتهم جاء الاستحلاء""إن اليقظة هي التي توسع الفضاء الذهني للمستمع أو المتلقي فيفك شفرة الخطاب عن طريق وضعه موضع الفعل الكلامي غير المباشر.

يتضح مما سبق أن الفصل والوصل يمكن أن ينجزا فعلا كلاميا مباشرا عن طريق أدوات الربط اللغوية، أو فعلا كلاميا غير مباشر يقوم على جامع يدرك في مستوى ذهني يقوم على شبكة من العلاقات والترابطات السياقية والتيقظية (إذا جاز لنا هذا التعبير)،وقد قدم السكاكي في ما سماه الجامع الخيالي فضاء إجرائيا لتوضيح مستوى من مستويات الوصل يتم في وحدة تتجاوز الجملة، ليتجلى لنا أن الروابط الحرفية وحدها لا تفي بالغرض على المستوى النصي، وسيسعى المقال لتطبيق هذه المفاهيم الإجرائية على النص الموالي:

الفضاء التطبيقي

"لا أعرف فصلا في كلام منثور أحسن مما أخبرنا به أبو أحمد ، قال : حدثنا الصولى ، قال حدثنا محمد بن زكريا ، قال : حدثني العتبي عن أبيه ، كان شبيب بن شيبة يوما قاعدا بباب المهدي ، فأقبل عبد الصمد بن الفضل الرقاشي ، فلما رآه قال: أتاكم و الله كليم الناس . فلما جلس قال شبيب : تكلم يا أبا العباس ، قال : أمعك يا أبا معمر و أنت خطيبنا و سيدنا ؟ قال : نعم ، فوالله ما رأيت قلبا أقرب من لسان ، من قلبك من لسانك ، قال: في أي شيء تحب أن أتكلم ؟قال : و إذا الشيخ معه عصا يتوكأ عليها ؛ فقال : صف لنا هذه العصا ، فحمد الله عز وجل و أثنى عليه ، ثم ذكر السماء ، فقال : رفعها الله بغير عمد ، و جعل فيها نجوم رجم و نجوم اقتداء،

وأدار فيها سراجا و قمرا منيرا ؛ لتعلموا عدد السنين و الحساب ، وأنزل منها ماء مباركا ، أحيا به الزرع و الضرع ،و أدر به الأقوات، وحفظ به الأرواح ،و أنبت به أنواعا مختلفة ، يصرفها من حال إلى حال ؛ تكون حبة ، ثم يجعلها عرقا ، ثم يقيمها على ساق ، فبينا تراها خضراء ترف إذ صارت يابسة تتقصف ، لينتفع بها العباد ، و يعمر بها البلاد ، و جعل يبسها هذه العصا .ثم

أقبل على الشيخ ، فقال: وكان هذا نطفة في صلب أبيه ، ثم صار علقة حين خرج منه ، ثم مضغة ثم لحما و عظما ، فصار جنينا أوجده الله بعد عدم ، وأنشأه مريدا ، ووفقه مكتهلا ، و نقهه شيخا ، حتى صار إلى هذه الحال ، من الكبر ؛فاحتاج في آخر حالاته إلا هذه العصا؛ فتبارك المدبر للعباد ...

قال شبيب : فما سمعت كلاما على بديه أحسن منه "[23]

إن النص هو الفضاء الذي يعانق فيه النحو والبلاغة فضاء الاستخدام ،ويتجلى الإطار الفعلي لقانون الوصل والفصل ،كما أن النص موضع التحليل هو نص أدبي يفوق فيه المجاز نسبة الحقيقة "والمجاز لا يهمل الوصل والفصل وإنما يقوم على استعمال انزياحي لتلك العلاقات وهي علاقات سياقية "[24]، قابلة للتخلي عن مرجيعيتها التعينية إذا وجدت قارئا أو متلقيا يتحقق فيه مفهوم التيقظ الذي أشار إليه السكاكي من قبل.

يشكل النص الأدبي حدثا كلاميا يتشكل من سلسلة من الأفعال الكلامية تربط بينها روابط، قد تكون هذه الروابط ظاهرة ،وقد تكون مضمرة ،ولكن وظيفة الروابط لا تقتصر على بناء الحدث الكلامي إذ قد يتعلق استخدامها بإنجاز الحدث الكلامي نفسه.

يختلف الحدث الكلامي باختلاف الجنس الأدبي المنتمي إليه والنص الذي بين أيدينا خبر و مكون من جزئين سند ومتن .

يحتوي السند على مجموعة من الروابط يغلب عليها الفاء وفق ما يلي (فأقبل، فلما رآه جلس، فقال، فوالله)

إن الفاء اتصلت بالمحرك الفعلي للكلام وهو الإخبار بشيء متميز "لا أعرف فصلا منثورا أحسن مما أخبرنا به أبو أحمد "،والربط يخدم هذا الإخبار إذ أن الفاء تفيد الربط دون تراخ ،مما يسرع وتيرة الأحداث للوقوف على حسن الفصل ، وهذا يجعل الفاء تنجز فعلا كلاميا غير مباشر قيمته الانجازية تأخذ شكلا إغرائيا يتعلق بفعل الاستهلال .

هذا عن السند أما المتن فانه يتشكل من مجموعة من" المكونات كل مكون هو معلم تتقدم به الأحداث أو ينمو به الفعل الكلامي "والغالب على الروابط التي تميز المتن هو ما سماه السكاكي الجامع الخيالي ويبدأ المتن من لحظة اختيار الموضوع وعليه نجد ثلاثة معالم : معلم العصا، معلم الشيخ، معلم التركيب أو دعونا نسميه معلم الجامع الخيالي .

يبدو ظاهريا أن الجملة التي بدأ بها المتن طارئة "وإذا شيخ معه عصا يتوكأ عليها،"لاصلة لها بفعل التكلم ولا بالحوار الذي دار حوله الفعل، ولكن بقية النص تشير إلى محورية هذه الجملة ؛إذ أنها ستتحول من طارئ إلى حافز للكلام ،كما أنها تمثل حجة في إثبات النتيجة السابقة؛ "أتاكم والله كليم الناس "،يتم الربط بين الجملة الطارئة وما سبقها وما يليها عن طريق فعل الأمر "صف لنا هذه العصا".

ويبدأ فعل التكلم بالحمد ، إن الحمد الوارد في بداية الوصف ليس فعلا منفصلا وليس من قبيل الفواتح التي تعود الخطباء افتتاح نصوصهم بها، ولكنه فعل تمهيدي لإرساء فعلي الوصل والفصل .

إن الحمد فعل يستوجبه وجود العصا والشيخ مقترنين؛ وهو البؤرة التي سيعمد إليها المتكلم في إجراء الوصل والفصل .

إن الحمد مدعاة لذكر السماء التي ستفضي للحديث عن العصا ،والعلاقة بين السماء والعصا غير واضحة ،فالوصل في هذه الحالة مضمر يتجه إلى التجلي عن طريق تفكيك العلاقة بين السماء والعصا.

إن العصا ذات الوجود الأرضي لها امتداد سماوي ، والحديث عن السماء يتكون من محورين محور الرفع ومحور الإنزال ويبدو ظاهريا أنهما منفصلان بل أبعد من هذا متضادان .

محور الرفع يضم مجموعة من العناصر بينها روابط معنوية وأخرى لغوية. يغلب على اللغوية حرف الواو الذي يفيد عادة الاشتراك في الحكم وفق ما يلي :

وجعل /وأدار فيها سراجا وقمرا ... إن النجوم والسراج والقمر المنير تشترك في إنجاز فعل يتعلق بالإنسان وهو تعلم السنين والحساب ولكن ما علاقة هذا بالعصا؟

ينتقل المتكلم إلى محور الإنزال دون أن يحقق الوصل بين العصا و السنين بل يصل بين الرفع والإنزال: "وأنزل منها ماء مباركا ويظهر الواو مجددا ولكن ينكسر ظهوره بوجود رابط آخر هو ثم :ثم يجعلها عرقا ثم يقيمها على ساق"

إن الرابط الجديد الذي يفيد الترتيب مع التراخي والذي ورد في سياق الإنزال يقتضي صورة سابقة وردت في سياق الرفع وهي "تعلم السنين والحساب "الذي ينقل الحبة من صورة العصا لينتفع بها العباد وتعمر البلاد.

إن انتفاع العباد وتعمير البلاد هو بؤرة محوري الإنزال والرفع في وصف العصا ،وهما فاتحة وصف الشيخ إذ عند هذا الحد بنبري المتكلم لوصف الشيخ "ثم أقبل على الشيخ فقال وكان هذا نطفة في صلب أبيه.... ثم صار علقة ثم صار لحما وعظما فصار جنينا أوجده الله من عدم وأنشأه مريدا ووفقه مكتهلا ونقصه شيخا".

إن جديد الروابط في هذه البنية هو الضمير الذي ورد في البنى السابقة ولكن بإحالات مختلفة، على عكس وجوده هنا الذي اقترن بالإحالة على الشيخ وتحقيق الربط بين انتقاله من النطفة إلى ذلك الحال من الكبر وهي صورة تستدعي صورة السنين والحساب .هذا وقد استخدم الضمير للإحالة على ذات واحدة يصورها الربط داخل النص في صورتين يجمع بينهما الضعف.

ليصل المتكلم في نهاية النص إلى الجمع بين صورة العصا، التي كانت تبدو منفصلة، وصورة الشيخ الذي احتاج في آخر عمره إلى العصا.

ويصل بين بداية المتن ونهايته :فحمد الله وأثنى عليه /فتبارك المدبر للعباد

ويصل بين بداية السند ونهايته: لا أعرف فصلا في كلام منثور .../قال شبيب فما سمعت كلاما على بديه أحسن منه .

إذن الوصل داخل النص، انبنى على الانزياح من صورة الفصل التي تظهر في النص إلى صورة الوصل التي تشكل بنية مضمرة تقوم على إنشاء العلاقات وتأويلها في إطارها النصي .

وقانون الفصل والوصل تجاوز فكرة التركيب بين مختلف بنى النص أو أفعاله الكلامية لينجز الحدث الكلامي الذي اقترن بإثبات حكم أطلقه المتحدث "أتاكم والله كليم الناس"، وكان استخدام قانون الفصل والوصل هو الحجة الدامغة ،وقد تكافأت قوته الانجازية مع قوته التأثيرية .

وخلاصة القول إن الفصل والوصل فعل لا تقوم اللغة إلا به ولا يتحقق التخاطب إلا في ضوئه، وهو عنصر تواصلي ،يتحقق بفضل روابط ظاهرة أو بواسطة جامع خيالي يرتكز أساسا على المتكلم والمستمع والمقاصد والسياقات الخارجية وما يمكن أن نسميه الفضاء الذهني الواسع الذي يقوم على الفطنة والتيقظ، وهي عناصر لها حضورها التداولي المتميز.

الإحالات:

(1) مصطفى حميدة ،نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، ،مكتبة لبنان ناشرون ،بيروت/لبنان ط1/1997 ص145

(2) عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز، تحقيق الشيخ محمد عبده ، مكتبة القاهرة مصر دط،1961 ص159،160

(3) نفسه ص:224

(4) نفسه ص:224

(5) نفسه ص:225

(6) اللأزهر الزناد نسيج النص المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء/المغرب ط1/1993ص:43

(7) ابن جني الخصائص، ،تحقيق محمد علي النجار ،دار الكتب المصرية ،القاهرة/مصر دط/دت ص24

(8) الدلائل ص 160

(9) نفسه ص:231

(10) لسكاكي مفتاح العلوم ،ا ،تحقيقعبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية ،بيروت /لبنان ط1/2000، ص360،361

(11) نفسه ص:370

(12) سورة البقرة الآية :13

(13) مفتاح العلوم ص:372

(14) نفسه ص372

(15) محمد خطابي لسانيات النص، ،المركز الثقافي العربي الدار البيضاء/المغرب ط1/1991 ص 101

(16) دلالة السياق، ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي ، منشورات أم القرى ، مكة المكرمة ، 1423هـ ، ط1، ص 320

(17) مسعود صحر اوي التداولية عند العلماء العرب ، ،دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة بيروت/لبنان ،ط1/2005،ص :42

(18) لسانيات النص ص126

(19) نفسه ص:122

(20) سورة الغاشية الآية 17-20

(21) مفتاح العلوم ص:366،367

(22) لسانيات النص ص:126

(23) أبو هلال العسكري الصناعتين ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، منشورات عيسى البابي الحلبي /سوريا دط،دت ص258،259

(24) نسيج النص، الأزهر الزناد ،ص42.